البحث عن البديل

يغلبنا الحنين دائما فنهرب اليه في اكثر انماط الانتاج الفكري. ويختلط الحنين بالحلم، فتتشابك الموضوعية الهادفة، الضياع الحزين.

حلم الانسان دائما، ومنذ القدم الازمنة حتى يومنا هذا بمستقبل اكثر سعادة في ظل حياة افضل. فكان الحلم هو الوسيلة الاولى والاقدم في التاريخ للعمل من اجل التغيير. فالحلم يشكل نوعا من التفكير في اعادة تنظيم الواقع وكشف نواقصه، ومثل هذا الكشف، على اختلاف درجاته من الوضوح، مكن الانسان من ان يحلم بدقة اكثر، بل وان يتنبأ بانجازات ويعمل على تحقيقها محددا اهدافه بوعي وفعالية.

ولكن الحنين، واستعادة الذكريات والعيش فيها، هو الركون الى الحزن المريح، واعلان عدم القدرة على التخطيط والتنبؤ وبالتالي عدم القدرة على التغيير.

حقل ادبنا الفلسطيني بالحنين والحرقة واستعادة الذكريات (النستولوجيا) فقعد، واسترخنا. كتبنا بالدموع بدل الحبر وترحمنا على ايام طفولتنا وبيارتنا ورملنا الذهبي وبرتقالنا الحزين والابواب التي ما زالت تنتظر المفاتيح المهاجرة.

جميل ان نعي الماضي، على ان ننتزع منه لهيب التغيير، وان نجعل من كوارثه التي تهيل دموعنا جلا، علميا لابصارنا، فنخطو على درب الوضوح لنحقق الاهداف.

ان ادب النستولوجيا يثير الدموع حقا، ولكنه يشل فينا القدرة والمضاء ان لم يعبر الى الواقع ويندفع نحو تغييره.

قرات منذ ايام قصة قصيرة، واشهد ان كاتبها يملك ادوات فن القصة ويجيد التصوير والتعبير، ولقد انهمرت دموعي وانا اقراها. ولكن الحنين الغالب على تلك القصة دفعني مرة اخرى لقراءتها، واخذت اتساءل: هل هو البعد عن الوطن الذي يدفعنا دفعا الى هذا الحنين الضائع والمضيع؟ اهوالبعد عن الوطن الذي يجعل نماذجنا (العارفة الواعية) من الاجداد الشيوخ الذين عرفوا شعاب القرية وحصدوا الزرع الذي لا يمائله زرع، اهو البعد الذي يجعلنا نصور في ادبنا كل شيء على صورة الوطن؟ فلماذا تكون الشامة التي يرسمها الكاتب على ذراع بطلة قصته على شكل خارطة الوطن؟ لماذا يكون اناسنا، في قصصنا واشعارنا وروايتنا، في صورة من الحزن الدائم؟ لماذا نكتفي بهذا الحزن؟ لماذا لا نجعله سبيلا الى التنبؤ وصنع المستقبل؟ لماذا نركز كثيرا في تناولنا الذات الفردية وتغيب عنا الذات الجماعية؟

انني لاتساءل، وارجو ان يتساءل معي كل الكتاب والفنانين فلعل حزننا يتحول الى غضب!

— محمد البطراوي —

قصة قصيرة:

الغريق

عزت الغزاوي

نفض اثار الوحل عن بنطاله المتسخ واتجه نحو كوخ المزرعة القريب ليغسل وجهه وقدميه. شعر بحاجةماسة الى بعض الراحة فجلس في باحة الكوخ بعد ان ثنى الحصيرة القديمة تحته وراح يتامل ثلاثية دنياه: الماء والتراب والخضرة لو كان حقا ما قيل عن المزرعة.. لو كان حقا، لا قدر الله، اذن فلابد وان تغيب ثلاثية الحياة عن عينيه. كان يدرك ان امتزاج الماء بالتراب بالخضرة هو مركز الحياة، هو النظام الذي يبدد فوضى الكون ويحقق الالوان والاشكال والذكريات

لو حقا ما قيل عن المزرعة نظر فجاة الى المزارع المجاورة تتراقص بخضرتها امام شذور الشمس الغاربة، وعلى امتداد الافق حيث بدات العتمة تمتزج مع بقايا النور استطاع ابو عباس ان يرى بوضوح مجموعات الاوتاد الحديدية والاسلاك الشائكة. اتلك البداية اذن؟ حدق النظر كانما يريد لو تغيب ابواب الزمان والمكان وينتقل الى هناك حيث العتمة والنور في صراع وغامت عيناه. يطير الى الافق يهبط كغيمة عابرة ويقف وراء الأسلاك كانه متسول قرصه الجوع. ارخى راسه المكدود على جدار الكوخ وغاب آخر شعاع.

اطبق صمت. خطا خطوة الى الامام. سمع خشخشة كانما افعى هائلة تشق طريقها عبر باب واسع وتسمرت قدماه. ابتدات اكوام الاسلاك الشائكة تقترب منه بثبات. كانت كانها لحظة تفكير بطيء في امر عظيم فلم يتحرك. الاسلاك الشائكة تقترب منه.. تقترب.. تدور الاسلاك على نفسها كالافعى، تتشكل في حلقات واسعة تضيق احيانا وتقترب بثبات رفع يديه الى الامام بحركة تلقائية ليقي نفسه من مخالب الاسلاك ولكن لم يتزحزح من مكانه — وخلال لحظات كان في دوامة من الاسلاك الشائكة تنفرس في جسمه وهو يحاول جاهدا دفع احكامها بيديه العاديتين. ما هذا الضعف الشديد الذي يستولي عليه؟ اين الذراع المفتولة التي حملت الفاس عشرين عاما وقضت على كل القبار في المزرعة؟ تلاحقت انفاسه حارة سريعة.. شعر بعطش شديد ارتمى على الارض وعض التراب الرطب فامتلا انفه بالرائحة المميزة دائما. رائحة التواب الممزوج بالماء. وابتسم. تلك الرائحة تذكره بعبير خاص يملا خياشيمه بعد المطر.

غابت الابتسامة عن وجهه عندما احس من جديد بانغراس الاسلاك الحديدية في كل اجزاء جسمه، ثم كانما تخدربالالم احس بشيء من الراحة فمد يده المجهدة ليمسح حبات العرق الباردة عن جبينه. راقت له الفكرة فراح يمسح وجهه براحة يده ولم يتوقف الا بعد ان احس بالتراب الرطب يكحل عينيه. ابتسم ولم يحاول اخراج ذرات التراب رغم الحاحها في مضايقته. عادت به الذكرى رحيمة جميلة كانما اكوام من الماء تتناثر امام نسمات ربيعية تقتل الالم وتفرز من خلال امواجها العطاء والمحبة. كان في المزرعة يسقي البلدنجان وفجاة سمع خوار بقرته.. انها الولادة.

ترك السقي وهرع الى حيث البقرة تجثم مرتعشة وعيونها الحمراء تدور في محاجرها القلقة .. يارب! ومع آخر شعاع للشمس كانت الدنيا تاوي لساعات صمت، والبقرة تضع وليدها، والوليد يغرق في رحمة ثديي امه، وابو عباس — وراء ... والحاجة — يبتسم ... لم يفطن لاصوات ... المزارع المجاورة ... القادم. لكنه الان ... البقرة وليدها ... فجاءه الصوت ... صادقا كانما العشق ... تتخطى الجدران والسنين ... فواز — عشيق سميحة ... الصوت الرجولي المفتول ... السمح

قتلتيني يم العيون ...
لتقتليني قتلة ...
هل العيون السلاح ...
شيئان لا يفترقان؟ ...
العلامة اذا لم تمتزج مع ...
وقطيع الغنم يروي ظمأه ...
الماء؟ اين تكون العلامة ...
تمتزج مع طابون القرية؟ ...
به التساؤل. الصوت ...
على عجل. انه صوت ...
لم تتزوج قط. ارهف ...
صباح الخير كله لك يا ...
ووجه صابح البريء ...
على صدر الملحية أنضح ...
دكاكين ...
يا الله! هذا ...
الخمسين شريفة؟ تزوج ...
هذه البلهاء كيف يكون ...
الملحية سوقا؟ كان ...
تتنازل عن مزرعتها ...
وهم يزوجونها افضل ...
ولكنهارفضت.. آه يا شريفة ...
اذن؟

غابت الاصوات ...
لدغات الاسلاك تلسع ...
المضني.. حتى الحركة ...
تبدو الان مستحيلة ولكن ...
من المحاولة. غرس يده ...
في الارض الرطبة ...
الاسلاك الجاثمة على ...
..اه.. رش المزرعة ...
يوم الاثنين.. تسميد ...
يوم الثلاثاء.. قلع الاعشاب ...
الاربعاء.. ومع كل غروب ...
اسوار القرية وجدران السجن ...
الزوجة. اين الاسوار ...
والحضن الان؟ ترتعش في ...
عذوبة روتين البداءة وتغيب ...
بدورها بثلاثية الحياة ...
التراب والماء والخضرة ...
هذه وتلك طهارة الروح ...
"ابو عباس" ! همس في ...
صوت ات من الغيب. ...
تقبض على قطعة من الحرير ...
وانحنت ام عباس تغسل ...
المكدود. الم يكن بد من ...
الرحلة مع الاسلاك الم يكن ...
الفرق؟ رحيمة هذه اليد ...
عباس.

في طريقها الى البيت ...
اسوار القرية تبدو نذيرة ...
امام العتمة مر كلب اسود ...
ثم لاذ بالفرار، ابتلعتهما ...
ودلفا الى البيت.

أخبار ثقافية

فرقة "الحكواتي" تعود من اسبانيا:

عاد اعضاء مسرح "الحكواتي" من اسبانيا بعد الاشتراك في مهرجان اسبانيا الدولي الذي عقد في ضاحية فيلدلوليد الاسبانية بمسرحيتها "جليلي يا علي".

× "الام فلسطينية":

مجموعة من اللوحات تحمل اسم "الام فلسطينية" رسمها الرسام الاذربيجاني نامزينالوف وعددها ٢٠ لوحة وتصور اعمال القمع التي تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة.

× "يوم في العيادة":

اصدرت منشورات "الاسوار" في عكا مجموعة "يوم في العيادة" ومسرحيات اخرى للكاتب الشفاعمري عفيف شليوط. وتقع المجموعة في ٨٠ صفحة من الحجم الصغير وتضم سبع مسرحيات قصيرة.

× "المعطف القديم":

صدرت عن منشورات "البيادر" مجموعة قصصية للقاص والناقد صبحي شحروري. وتقع المجموعة في ١٠٧ صفحات من الحجم المتوسط وتضم سبع قصص قصيرة كانت قد كتبت على فترات متباعدة.

كتاب جديد

× عن وكالة ابو عرفة للصحافة والنشر صدر كتاب "من دمي اكتب" وهو الكتاب الاول للكاتبة حنان عواد. ويتناول الكتاب خواطر الكاتبة في فترة اغترابها عن الوطن. يقع الكتاب في ١١٤ صفحة من الحجم المتوسط، الفنان الفلسطيني عوض ابو عرمانة

× ستصدر قريبا عن "دار الكاتب" المجموعة القصصية الاولى للقاص فضل الريماوي تحت اسم "بياع السوس" والمجموعة تتالف من اربع عشرة قصة قصيرة كان القاص قد نشر معظمها في

إضاءة

"ثمة حكمة شائعة تقول: لو ان البديهيات الهندسية كانت مصالح الناس، لسعوا، بكل تاكيد، الى دحضها. فان نظريات الطبيعة، التي كانت تصدم اوهام اللاهوت القديمة، قد ضدها وما تزال تثير نضالا ضاريا. وليس ثمة ما يدعو الى الدهشة كان مذهب ماركس، الذي يهدف مباشرة الى تنوير وتنظيم المتقدمة في المجتمع المعاصر، يشير الى مهمات هذه الطبقة ان النظام الحالي سيستعاض عنه حتما، باوضاع جديدة، من التطور الاقتصادي، ليس ثمة ما يدعو الى الدهشة اذا اضاف المذهب الى ان يخطو كل خطوة في طريق الحياة، بعد نضال يبقى

— لينين